مقدمة :

إن الإنسان ثروة متجددة ومستمرة ما دامت الحياة فوق سطح الأرض، وهو الركيزة الرئيسة لكل عملية تنموية، وحجر الأساس لكل حركة بناء وتعمير على وجه الأرض والإنسان لكي يستطيع أن ينتج، ويعمر، يحتاج إلى مقومات أخرى وثروات صالحة للقيام بأنشطته البيئية، التي يستطيع من خلالها أن يقدم عطاءه وإنتاجه هذه الثروة هي البيئة التي نعيش عليها بكل عناصرها.

والإنسان -بصفة عامة- يحتاج إلى هواءٍ نظيف وسليم لكي يبقى حياً سليمَ الجسم بعيداً عن الأمراض والعلل؛ حتى يستطيع أن يمارس أنشطته اليومية العادية، والإنسان يحتاج أيضاً إلى ماء نقي ونظيف خالٍ من الملوثات والشوائب، لاستخدامه للشرب والأغراض المنزلية الأخرى، كما إنه بحاجة إلى الثروة المائية لإقامة مشاريعه الصناعية والتنموية ،كذلك فإن الإنسان لا يستطيع أن يستغني عن التربة التي يعيش عليها، فغذاؤه اليومي يخرج منها، وعلى ظهرها يبني كل أنشطته وأعماله، وأي خللٍ أو تدهور لهذه العناصر البيئية يعني في نهاية الأمر تجميد، و إيقاف كل تقدم يريد الإنسان تحقيقه.

ولقد توهم كثير من الناس أن البيئة مرتع خصب يلقي فيها ما يشاء من نفايات وموقع لا حدود له للتخلص من بقايا أنشطته، وظن الإنسان أن البيئة قادرة على تحمل كل هذا الكم الهائل من النفايات، وأنها تستطيع أن تستوعب ما يلقى فيها من ملوثات دون إلحاق أضرار بصحتها وسلامتها وعطائها.

وتمادى بعض الناس في تصرفاتهم غير المسئولة تجاه البيئة، وأسرف في انتهاك حرماتها واستنزاف خيراتها، وغالى في معاملته السيئة لعناصر البيئة من هواء وماء وغيرها حتى وصل الحال بالبيئة إلى درجة التشبع ، وعندما أدرك الإنسان هذه الحقيقة مؤخرا

وجد أن الكوارث والحوادث البيئية أودت بحياة كثير من الناس، وقتلت الآلاف من الحيوانات والنباتات، وتدهورت حالة البيئة إلى حد بعيد.

ففي هذا العصر إنجازات حضارية كثيرة أثرت في الإنسان وتفاعله مع البيئة؛ فنتج عن التطور الصناعي والتكنولوجي مشكلات بيئية متعددة وخلل في التوازن البيئي للكون مما يتطلب بالضرورة حماية البيئة والمحافظة عليها وتنميتها وحماية البيئة في الأصل حماية للإنسان؛ وذلك لأن الإنسان يختلف عن غيره من الكائنات الحية من حيث تفاعله اللامحدود مع بيئته الطبيعية والاجتماعية (١).

وبذلك أدرك الإنسان أهمية البيئة في حياته كما أدرك علاقة التأثير والتأثر بينه وبينها وبدأ في دراسة الطرق والوسائل التي تحميه من هذه الأخطار، فقد حظى موضوع البيئة والدراسات البيئية اهتمام المتخصصين والرأى العام في العقدين الأخيرين وكثرت الموضوعات والدراسات التي تناولت قضايا البيئة ومشكلاتها وخاصة بعد أن أخذت الموارد الطبيعية في النضوب والاستنزاف وباتت التربة والهواء والماء والمواد الغذائية ملوثة بأنواع شتى من المواد الكيميائية والسموم ، وهو أمر أسهم بدور كبير في زيادة الأمراض وفساد مكونات البيئة إضافة إلى انقراض العديد من أنواع الحيوانات والنباتات التي تشاركنا الحياة على سطح الأرض.(٢)

كما أصبح مقياس تقدم أفراد المجتمع يتحدد بنوعية تأثيرهم في البيئة الطبيعية المحيطة بهم وبمدى وعيهم الهادف بحماية البيئة وترشيد استغلال مواردها المتجددة ؛لذا فقد أصبحت حماية البيئة من سوء استخدام الإنسان لمصادرها ومن إساءاته المستمرة لها

---

(١) محمد الهادى عفيفي، الأصول الثقافية للتربية ، (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت) ، ص ١٩٠.
(٢) محمد عبد القادر الفقى ، البيئة :مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث (رؤية إسلامية) ، (الرياض : مكتبة الساعى، ١٩٩٣) ، ص٥.

سواء بالاستنزاف أو بالتلويث أو بالتدمير أو بغيرها من صور الإساءة هي الشغل الشاغل للإنسان نفسه فهو يدرك إدراكا واعيا أنه يحتاج إلى مصادر البيئة الطبيعية احتياجا أبديا وأن حياته وبقاءه يعتمدان اعتمادا كليا عليها .

ولحماية البيئة قد يضع الإنسان القوانين ويسن التشريعات ويقدم التوصيات في المؤتمرات المختلفة التي تنظم علاقته بها وتحقق التوازن بينه وبين مصادرها الطبيعية وتحد من استنزافه لها وتوقف تلويثه لها وتمنع تدميرها إلا أن هذا كله لا يكفي ؛ ذلك أن الأمر يتوقف على الإنسان نفسه بحيث "تستند هذه القوانين والتشريعات إلى وعى وإدراك يصل إلى ضمير الإنسان ويتحول إلى قيم اجتماعيه إيجابية وضوابط للسلوك الذي يحافظ على البيئة من كل ما تتعرض له من مشكلات يسببها الإنسان". (١)

وهذا أدى إلى أن "عالم اليوم بجميع فلسفاته التربوية وقطاعاته المهنية يهتم بالتثقيف البيئي "(٢)، ومن هنا نشأت الحاجة إلى تربية الإنسان وإكسابه المعلومات والاتجاهات والقيم التي تمكنه من مواجهة الحياة على الكرة الأرضية والتحكم في المتغيرات البيئية التي تؤثر في حياته إلى حد يسمح له بحياة خالية من المتاعب الصحية والنفسية وغيرها .وذلك عن طريق " تكوين القيم والاتجاهات والمهارات والمدركات اللازمة لفهم وتقدير العلاقات المعقدة التي تربط الإنسان وحضارته بمحيطها الحيوي "(٣)، أو ما يعرف بالتربية البيئية ، ومن هذا المنطلق أصبح إدخال التربية البيئية ضمن برامج وخطط التعليم أمرا ضروريا .

---

(١) أحمد إبراهيم شلبى، البيئة والمناهج المدرسية ، (القاهرة : مؤسسة الخليج العربى ، ١٩٨٦ م) ، ص ٦٨.

(٢) محمد صديق حسن ، " التربية البيئية " الفلسفة والأهداف " ، مجلة التربية ، ع (١٠١) ، (قطر : اللجنة القطرية للتربية والثقافة والعلوم، يونيو ١٩٩٢م)، ص ٦٢.

(٣) إبراهيم عصمت مطاوع،التربية البيئية دراسة نظرية تطبيقية،(الإسكندرية:دار المعرفة الجامعية،١٩٨٦م)،ص٨١.

وعلى الرغم مما يُبذل من جهود على المستويات المختلفة في سبيل تأكيد أهمية التربية البيئية في بناء المواطن الواعي بمشكلات بيئته، فإن هذه المشكلات مازالت قائمة ومستمرة ومتزايدة مما أصبح يهدد سلامة البشرية في جميع المجتمعات .

ولقد صار واضحا أن هذه الجهود المبذولة في سبيل تحقيق أهداف التربية البيئية في حاجة إلى فلسفة جديدة ؛ فلسفة تنبع من داخل كل فرد وتخرج دون انتظار لثواب أو عقاب، تصلح للانطلاق منها إلى تحقيق الحفاظ على الموارد الطبيعية بصورة متوازنة تعمل على إيقاظ ضمير الإنسان تجاه البيئة الطبيعية ، وينبع عن تلك الفلسفة أنماط جديدة من السلوك تجاه البيئة الطبيعية لدى الأفراد والجماعات(١) .

ولقد نادت الأديان السماوية جميعها بالحفاظ على البيئة لأن صلاحها هو صلاح لعبادة الإنسان لله(تعالى) فمتى شعر الإنسان أنه يعيش آمنا في بيئة سليمة توجَّه إلى الله في إخلاص عميق لشكر الله على هذه النعم، ولقد أكدت التربية الإسلامية متمثلة في مصدريها القرآن الكريم والسنة النبوية على أهمية البيئة ودورها الفعال في تنشئة الإنسان تنشئة سليمة .

ومن خلال النظر في نصوص الشريعة الإسلامية وصفحات التراث الإسلامي، وُجد أن المنهج الإسلامي قادر على تصحيح العلاقة بين الإنسان وبيئته وإنهاء التلوث والفساد بكل صوره وأشكاله ، فالبيئة -من المنظور الإسلامي – مرتبطة بتحمل الإنسان دون غيره من المخلوقات لأمانة الخلافة في الأرض وترقية الحياة عليها حتى يستكمل حكمة الله من خلقه، وخلقها بعد أن سخر له كل ما في الكون من نعم ظاهرة وباطنة ؛ لينتفع بها ويمجد بانتفاعها ربَّ العالمين، ولا يكون الإنسان جديرا بحمل أمانة الخلافة إذا أساء استعمال

(١) المجالس القومية المتخصصة ، اتجاهات مقترحة للتربية البيئية في التعليم العام ، المجلد (٢٢) (القاهرة : مطبوعات المجالس القومية المتخصصة ،الكتاب السنوى ١٩٩٦/٩٥م) ، ص ٢٥٦.

هذه النعم التي تتكون منها عناصر البيئة أو إذا تصرف فيها على نحو غير مشروع ، جريا وراء منفعة خاصة أو استسلاما للأثرة المقيتة .

فالخلافة تعنى أول ما تعنى تعمير الأرض بإشاعة الخير والسلام فيها وبالعمل على إظهار عظمة الخالق وقدرته عن طريق الانتفاع الإيجابي بكل المخلوقات التي سخرها الله لخدمة الإنسان ويتجلى ذلك في قوله تعالى:

(.....هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا.....)

[سورة هود : الآية من (٦١).]

أي : عمار تعمرونها وتسكنون بها وهذا لا يتأتى إلا بأمرين :

أولهما: أن تبقى الصالح على صلاحه ولا تفسده .

والثاني :أن تصلح ما يفسد وتزيد إصلاحه ، ولاشك أن في الأمرين خير ضمان لحماية البيئة.

ولقد تبين من خلال الواقع أن القوانين والتشريعات الوضعية قد لا تقوم وحدها بهذه المهام ما لم تؤصلها المبادئ الدينية والخلقية التي تربى الضمير الإنساني في المؤسسات التربوية المختلفة ودليل ذلك وجود هذه المشكلات في الدول المتقدمة والنامية على السواء وليس هناك شيء غريب في ذلك حيث يغفل الإنسان عن التصور الإيماني للبيئة المحيطة به فالصانع حين يصنع شيئا يضع معه برنامج الصيانة والإرشادات لتبقى صناعته في أحسن حال فالإنسان عندما يشترى جهاز ما فإنه يحصل على شهادة الضمان بجانب المرشد لطريقة التشغيل والأعطال التي تظهر على الجهاز وكيفية علاجها ؛إذن فالمنطق يقول إن صاحب الصنعة أدرى بصنعته وأصلح لها فهو يضع منهج الاستخدام والصيانة فإذا تجاهل

مقتنيها هذه الإرشادات وتركها دون اهتمام فقد عرضها للفساد والتلف والكون كله من أصغر ذرة إلى أكبر مجرة هو صنعة الله (عزوجل) فقد قال الله تعالى :

(لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾)

[سورة يس :الآية (٤٠).]

ويقول(تعالى) :

(وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ ﴿١٥﴾)

[سورة الرعد :الآية (١٥).]

فعلى الإنسان إذا أراد الخير لنفسه ولبيئته أن يتبع تعليمات خالق هذه البيئة ويتبع إرشاداته ونصحه وآياته وهذه الإرشادات والتعليمات متمثلة في مصدري الإسلام الأساسيين وهما القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ومنهما تُستمد القيم والمبادئ الحافظة والحامية للنظام البيئي في الكون.

ولكن هناك "نقطةً جوهريةً وهي أن المنظور الإسلامي حيال طرق وأساليب حماية البيئة لا يغاير المنظور الوضعي بل هو في الحقيقة يتفق معه في الكثير مما ينادى به حاليا لكنه يتفوق عليه "[(١)] في تعامله مع عناصر جديدة تكسب الجهود مزيدا من الكفاءة والفاعلية ومن هذه العناصر الاعتماد على مدخل الوقاية والعلاج معا .

فقال تعالى :-

(وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا.....)

(١) شوقى أحمد دنيا ، "التنمية والبيئة دراسة مقارنة" ، سلسلة رابطة العالم الإسلامي،العدد(١٣٧)، (مكة المكرمة : رابطة العالم الإسلامي ، السنة ١٢ ، جمادى الأولى ١٤١٤هـ)، ص ١١٢.

[سورة الأعراف :من الآية (٥٦).]

وكذلك مبدأ الاعتدال دون إسراف كما روى "عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي (صلى الله عليه وسلم) مر بسعد وهو يتوضأ فقال :ما هذا السرف يا سعد قال: أفي الوضوء سرف قال نعم وإن كنت على نهر جار"(١) وهناك عناصر كثيرة تأتى في حينها.

وإذا كانت البيئة تعانى من مشكلات جسام وكل منها يؤدى إلى تدمير وإفساد أركان البيئة فإن الأسباب الحقيقية التي تكمن وراء تلك المشكلات تتمثل في ظلم الإنسان وجوره وفساده وفسوقه عن أمر ربه قال تعالى :-

(ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾)

[سورة الروم : الآية (٤١).]

والعلاج الناجع لمشكلات البيئة المختلفة إنما هو بكف الأذى ورفع الأيدي عن النواميس الطبيعية التي أودعها الله في الكون فقد روى عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): الإيمان بضع وسبعون بابا أدناها إماطة الأذى عن الطريق وأرفعها قول لا إله إلا الله "(٢) فهي دعوة لحماية البيئة متمثلة في مظهر بسيط وهو إزالة الأذى وبالتالي فإن رفع الأيدي عن استنزاف البيئة وسلب خيراتها هو مرحلة تالية وتعد شعبة من شعب الإيمان الأسمى من إزالة الأذى عن طريق الناس ،كما أنه لن تستطيع التقنية المعاصرة ولا الثراء العريض أو غيره توفير سبل التغلب على مشكلات الإنسان جميعا بما فيها مشكلات البيئة ما لم تصدر هذه التقنيات عن وجهة نظر إسلامية تحترم

---

(١) الإمام أحمد بن حنبل (أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيبانى ،ت٢٤١هـ)، مسند أحمد، ج٢ (القاهرة : مؤسسة قرطبة، د.ت) ص٢٢١

(٢) الترمذى (محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذى السلمى ،ت٢٧٩هـ)، سنن الترمذى، تحقيق / أحمد محمد شاكر وآخرون،ج٥ ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي ،د.ت) ص١٠.

السنن الكونية التي أودعها الله في خلقه وتتبنى فلسفة تتمشى مع سنة الله في الكون وتتفاعل وتتعامل مع مقومات البيئة على أنها نعم تستوجب شكر المنعم ولن يكون ذلك أولا وأخيرا إلا بالإيمان الحقيقي بالله .

وكما أن هذا العصر يحتاج من الجميع التكاتف والتعاون وخاصة المجتمعات المسلمة نحو بيئة أفضل فالربط بين وسائل التغيير البيئي الأفضل بدين الأمة وعقيدتها هو الذي يعبئ طاقات الأمة كلها نحو التعامل مع بيئة نظيفة ولكى يظهر ذلك لابد من إعادة قراءة مصادر الإسلام الثابتة : الكتاب والسنة ، بوعى وفهم دقيقين ، وخاصة السنة النبوية؛ فإدراك السنة وفهمها يؤدى إلى معرفة الغايات والأهداف من وراء التطبيق النبوي للوحى الإلهي وتحويله إلى واقع حى يشكل المنهج الضابط لحركة الحياة والإنسان وتعامله مع بيئته ،فلابد من النظر في السنة النبوية نظرَ مسلم معاصر قادر على ملاحظة جميع المؤثرات وسائر الأبعاد والغايات وتوضيح الكليات واستنباط المنهج اللازم للاستجابة الإسلامية لتحديات مشاكل البيئة المعاصرة وإعادة بناء هيكل جديد للتربية البيئية مغايرا المنهج الوضعي الذي فشل في إحداث تغيير جوهري في علاقة الإنسان مع بيئته(١) .

ولذلك فإن من المنطقي ألا يُحاد عن الإسلام في البحث عن تلك الفلسفة المتكاملة نتلمس من خلاله مدى التكامل والشمول في نظرة الإسلام إلى البيئة والأسس الإسلامية الراسخة نحو تحقيق أهداف التربية البيئية وذلك في ضوء مصدري الإسلام القرآن الكريم والسنة النبوية، وتنصب الدراسة الحالية على دراسة أسس ومبادئ التربية البيئية في السنة النبوية؛ وهي المصدر الثاني في التشريع الإسلامي وهي التطبيق العملي لآيات القرآن الكريم ،فلقد زود القرآن الكريم القدماء "بمنهج فكرى فذ قادر على فهم وتفسير وتحليل

---

(١) يوسف القرضاوى، "كيف نتعامل مع السنة النبوية" ، سلسلة قضايا المعهد العالمى للفكر الإسلامى(٤) ،ط٣ (الرباط : دار الأمان، ١٩٩٣م)، ص ص ١٥ : ١٧.

تحولات الأمم والمجتمعات ومعرفة الحقائق الكامنة والسنن الخاصة بالتحولات الحضارية الكبرى"[١] وجاءت السنة النبوية وسيرة الرسول(صلى الله عليه وسلم) لتمثل التجسيد العملي الواقعي لذلك المنهج الفكري،فالنبي محمد(صلى الله عليه وسلم) وهو القدوة الحسنة في تعاملنا مع البيئة، فلقد قال تعالى:-

(لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾)

[سورة الأحزاب ، الآية : (٢١).]

فلم تخلُ كتب السنة النبوية من الإشارات الهامة للتربية البيئية صراحة أو ضمنيا والتي توضح رؤية الرسول (صلى الله عليه وسلم) في النواحي التربوية والتعليمية المختلفة الخاصة بتعامل الإنسان مع البيئة المحيطة به.

مشكلة الدراسة :

إن الدراسات التربوية في التربية الإسلامية- في معظمها- اقتصرت على المجال التاريخي والفلسفي وقد بَعُدت عن المجال الأصولي الذي يستنبط الأفكار والمبادئ المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية وتوظيفها لتخدم المجال التعليمي على كافة المستويات وترتب على ذلك أن كثيرا ما ينتقد التربويون الدراسات التربوية المستمدة من القرآن والسنة ويدعون أن هذه الدراسات هي أقرب إلى النواحي الفقهية وليست دراسات علمية تربوية وبذلك يعترفون ضمنيا أن الدراسات التربوية الحالية لا تعبر عن واقع وثقافة المجتمع بل هي ثقافة مستوردة[٢].

---

(١) المرجع السابق ، ص١٥.

(٢) سعيد إسماعيل على ، دراسات في التربية الإسلامية ، (القاهرة : عالم الكتب، ١٩٨٢ م) ، ص١٢٥.

كما هناك عوامل تؤكد على دراسة الظاهرة التربوية في إطار الخبرة التاريخية الإسلامية فالفشل المتعدد لمحاولات تطبيق المذاهب والأيدلوجيات الأجنبية وما خرج عنها من فكر تربوي نتيجة انعدام الاستجابة الشعبية في المجتمعات الإسلامية وعدم تحمسها لها كما أن افتقاد المجتمعات الإسلامية للنوعية التربوية المتميزة للإنسان المسلم والتي من أوضح شروطها تأهيله لتجاوز حالة الضعف الحضاري وانعدام الفعالية.(١)

فمن الواجب أن تُحلل النصوص القرآنية والسنة النبوية بعمق منهجي وعلمي ،فالنص القرآني وتراث السنة النبوية ليس ملكا خاصا بالأمة الإسلامية بل ملكا للبشرية جمعاء وهو أمر يتفق وعالمية الإسلام كما تبدى مراكز البحوث الأكاديمية والثقافية واللاهوتية اهتماما متزيدا بتراثنا الديني سواء بدافع حوار الثقافات أو تحت وهم الخطر الذي صنعوه أو اصطنعوه أو في مسعاهم إلى تطوير نظرية عامة للتراث الإنساني.(٢)

ويتضح مما سبق أهمية التربية الإسلامية وضرورة أن تكون قيم المجتمع نابعةً من مصادرها الأصلية ولاتكون المذاهب الغربية هي الفكر البديل للتربية الإسلامية فلابد من الاهتمام بفكرهم ولكن صياغته لابد أن تكون في إطار التربية الإسلامية بالأخذ بالمفيد منه وترك الضار الذي لا يناسب قيم المجتمع الإسلامي .

إن البيئة والمحافظة عليها ينقصها التوجيه الداخلي في النفس الإنسانية وهذا ينطلق من عقيدة الإنسان المؤمن ،فقد روى عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) " **من أمسى آمنا في سربه، معافي في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حِيزت له الدنيا بحذافيرها**"(٣) فهذا

---

(١) عبد الرحمن النقيب ، التربية الإسلامية المعاصرة في مواجهة النظام العالمي الجديد،الطبعة الأولى، (القاهرة : دار الفكر العربى ،١٩٩٧م)، ص٢٨٠.

(٢) نبيل على ، "الثقافة العربية وعصر المعلومات " ، مجلة عالم المعرفة ،ع٢٦٥ ، (الكويت : المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، يناير ٢٠٠١م) ، ص٤١٤.

(٣) الهيثمى (علي بن أبي بكر الهيثمي أبو الحسن، ت٨٠٧هـ)، موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، تحقيق : محمد عبد الرازق حمزة ، ج ١، (بيروت : دار الكتب العلمية ، د.ت) ،ص٦٢٠.

الحديث يدعو المسلم أن يحافظ على سلامة الآخرين وعلى البيئة المحيطة به وهو ضمان لسلامته شخصيا ؛ فالمسلم إذاً لا يحافظ على البيئة ويحفظها من الأذى والعدوان لأنه تعلم ذلك فقط في المدرسة أو الجامعة أو لفرض العقوبات، بل أن عقيدته حين يفهم روحها توجب عليه تقدير ورعاية وحفظ ما حوله ومَن حوله ممتنعا -شرعا - عن إحداث أي أذى في هذا المحيط حتى ولو لم يتأذ هو شخصيا ومباشرة من هذا العمل.

كما" أن هناك بعدين أساسيين لحقيقة البيئة؛ البعد الأول مادي ظاهر يدرك بالحواس، والبعد الثاني روحي يتعلق بالمعتقد الغيبي يدرك بقوى النفس، وهما بعدان متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر في تصور تلك الحقيقة، حتى إذا رأى الرائي عنصرا من عناصر البيئة أو تعامل معه بضرب من السلوك، لا يراه أو لا يتعامل معه إلا على أساس أنه كائن ذو بعدين مادي محسوس، وروحي عقدي"(١).

*ومما سبق يتضح أن العامل العقدي في تغيير سلوكيات الأفراد تجاه البيئة وهو المطلب الأسمى للتربية البيئية ؛فالإسلام خاتم الأديان ورسالته هي آخر الرسالات السماوية على الأرض وعليه فمن منطلق العدل الإلهي أن تكون الرسالة بما تضمنه من تعاليم ومفاهيم وقيم وتكاليف وتشريعات ليست للماضي فقط أو للحاضر بل هي صالحة لكل زمان ومكان فهي طريقة حياة للإنسان السوي ووظيفة هذه الطريقة هي أن تفض ما قد ينشأ من اشتباكات بين المسلم المعاصر وبين مشكلات الحياة في جميع المجالات منها الاجتماعية والتربوية والبيئية والاقتصادية وغيرها ولن تستطيع هذه الطريقة تحقيق ما لديها إلا إذا توافرت القيم والمقومات والأسس التي تجعله يتوافق مع البيئة ويستطيع الاستمرار معها دون إهدار لحقوقها .

---

(١) فاروق الباز، "مؤتمر دبى للتصحر " ، صحيفة الاتحاد ،ع ١٩٨،(دولة الإمارات العربية المتحدة: مؤسسة الإمارات للإعلام ٢٠٠٠م) ،ص٥.

ولقد تعالت نداءات تدعو لإدخال البعد البيئي في التربية تعليما وسلوكا للوصول بالفرد إلى مستوى جيد من المعرفة عن البيئة وإكسابه الاتجاهات التي تساعده على المحافظة عليها وتنميتها وتحسينها ، فقد تردد هذا كثيرا بين توصيات المؤتمرات والبحوث الخاصة بالتربية البيئية وذلك منذ بداية أول تجمع دولى يتضح فيه التأكيد على أهمية التربية البيئية – ندوة بلجراد ١٩٧٥- مرورا بقمة الأرض في ريودى جانيرو عاصمة البرازيل القديمة ١٩٩٢م إلى آخر تجمع دولى وهو قمة جوهانسبرج في جنوب أفريقيا والمسمى القمة العالمية المستدامة ٢٠٠٢م.

ومن ثم " كانت الحاجة ملحة للاهتمام بالتربية البيئية في الوقت الراهن لإعداد الإنسان المتفهم لبيئته والمدرك لظروفها والواعي بما يواجهها من مشكلات وما يهددها من أخطار والقادر على المساهمة الإيجابية في التغلب على هذه المشكلات والحد من تلك الأخطار بل وفي تحسين ظروف هذه البيئة إلى الأفضل " (١).

كما أن هذه الدراسات والمؤتمرات والندوات لم تتطرق إلى علاقة الألفة التي لابد أن تكون بين الإنسان وبيئته فعدم التفريط في الثروة البيئية هو ضمان للنهوض بالثروة البشرية وبهذا يتضح بما لا يدع مجالا للشك "ضرورة توفر الجانب الروحي مع الجانب المادي في دراسة العلاقة بين الإنسان والبيئة، فالتعامل مع البيئة لا يمكن إلا في إطار من القيم والأخلاق يربط الإنسان بالله وبالكون ،كما فعل السلف الصالح من علماء المسلمين". (٢)

---

(١) إبراهيم عصمت مطاوع ، مرجع سابق ، ص ١١٢.

(٢) منصور حسب النبي، الكون والإعجاز العلمي في القرآن ، ط٣ ، (القاهرة : دار الفكر العربى، ١٩٩٦م) ، ص ١٨.

والدين الإسلامي يدعو إلى الاهتمام بالبيئة فهو ينظم حياة الإنسان بصورة عامة فقد حرص على إيجاد بيئة نموذجية للإنسان منذ مولده ، كما أورد أحكاما تفصيلية لاستمرار البيئة سليمة من الفساد الخلقي والبيئي على حد سواء ، بحيث تضمن للإنسان الاستمرار في الحياة والتكاثر.

ومن هذا التصور لعلاقة الإنسان بالبيئة في الإسلام تنطلق الدراسات السابقة في مسارها ولكنها تصطدم بما أورده علماء الفقه المسلمون حيث كانوا يهتمون بالجانب التطبيقي للبيئة ولم ينظروا إليها نظرة شاملة تربط الأمور بعضها ببعض كما يصطدم بكثرة ما ورد عنهم من تفصيلات وأحكام تناقش الجزئيات اللازمة للحياة اليومية وكانت هذه التفصيلات والجزئيات ترد منفصلة ومتباعدة وكأنها ليس بينها ترابط (١) ، ولذلك كان إحساس الباحث بأن هذا التراث الضخم من جوانب التربية البيئية التي ترد مفصلة في كتب الفقه لابد لها من أساس يحكم ويضبط ذلك التراث العظيم ، فقد أورد علماء الفقه في أبواب عديدة أحكاما تخص التربية البيئية بدقة متناهية وخاصة الأبواب المتعلقة بالطهارة والأطعمة والأشربة والذبائح والصيد وغيرها .

ولاشك أن اعتماد الفقهاء في ذلك يرجع إلى القرآن الكريم بصفة عامة والسنة النبوية بصفة خاصة، فلقد تميز فكرهم بأنه نابع من احتياجات المجتمع وذلك نتيجة لواقعية الفقهاء وهم لم يأتوا بنظريات من عندهم أو من فلسفات أخرى وإنما بنوا نظرياتهم على الدين الإسلامي وفكر أهل السنة بصفة خاصة والذي يتبعه غالبية المسلمين (٢).

---

(١) على راضى أبو زريق،"الإنسان والبيئة" ،سلسلة رابطة العالم الإسلامي السنة (١٤) ، ع١٥٩ ، (مكة المكرمة : رابطة العالم الإسلامي ،ربيع أول ١٤١٦ هـ)، ص ٥

(٢) طرفة إبراهيم محمد الحلوة،" تربية الصبيان لدى بعض الفقهاء والعلماء المسلمين"، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات بالرياض،المملكة العربية السعودية، ١٩٨٨م، ص٤٠.

وعلى الرغم من معالجة فقهاء المسلمين لعدد كبير من قضايا التربية البيئية إلا أنه ليس هناك خط أو فلسفة تجمع هذا الشتات من الأحكام والمبادئ الخاصة بالتربية البيئية مما حدا بالباحث إلى التركيز على الفكر الرئيس الذي اتبعه هؤلاء الفقهاء وهو مما لاشك فيه السنة النبوية المطهرة وهو المفسر الأول للقرآن الكريم.

فالسيرة النبوية الشريفة تنقل حرص الإسلام على الحفاظ على البيئة، ومن أمثلة ذلك ما ورد في خطبة أبي بكر الصديق في بعث أسامة بن زيد بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم قائلا وموجها صحابته بأكثر ثلاث عشرة لاءات: " **لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا كبيرا ولا تغرقوا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا للأكل وإذا مررتم بقوم فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له.**"(١) فهذه دعوة للحفاظ على البيئة من أبى بكر وهو الصاحب الحميم لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو الذي تربى على سنته وطريقته في التعامل مع الحياة أو البيئة ومن أمثلة ذلك أيضا ما دعا إليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في سنته الطاهرة على أن الأرض مسئولية جماعية وليست فردية وضرب لنا مثلاً عظيمًا فيمن يخرق النظام في المجتمع ووضح دور الجماعة نحو الظالم وكيفية معالجة القضية ؛ فالأرض بكل مقوماتها تمثل سفينة عليها ركاب وسط بحر هائج من التلوث بجميع أشكاله فالكل شركاء فيها فلكل فرد سهم في هذه السفينة "الأرض" لا يجوز لأحد أو لمجموعة أو لدولة مهما عظم شأنها المادي على هذه الأرض أن تتصرف بلا مسؤولية وأن تخرق السفينة بغباء أو أنانية وجهل لأنها في النهاية ستغرق مع الغارقين إذا تصرفت وكأنها وحدها على هذا البسيطة ويجب الأخذ على يدها حتى لا يهلك الجميع. قال

---

(١) أبى عوانه يعقوب بن إسحاق ، مسند أبي عوانه ١ ،ج٤ ،(بيروت : دار المعرفة ، ١٩٩٨م) ص٢٠٤.

الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وأصاب بعضهم أسفلها فكان من بالأسفل كلما أراد الماء صعد إلى الأعلى فقالوا لو خرقنا في موضعنا خرقا يحصلون منه على الماء دون مشقة فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا". (١) والدين هو المعاملة وكل أذى للنفس أو للغير إنسانا أو حيوانا أو نباتا أو محيطا طبيعيا بغير حق غير جائز في الإسلام.

وعلى الرغم من الاهتمام المتنامي بالبيئة وملوثاتها في العصر الحالي إلا أنه لازالت هناك ملوثات كثيرة وهذا يرجع إلى عدم وجود اهتمام كاف بالتربية البيئية وخصوصا ما يرتبط بالتربية العقدية التي تنمى الوعي الداخلي لدى أفراد المجتمع بما يضمن حرصهم على عدم تلويث البيئة والمحافظة عليها .

وبالنظر في الدراسات السابقة(•) يمكن القول بأن هذه الدراسات – في معظمها – قد اهتمت بجوانب قاصرة أو محدودة دون التطرق لفكر شامل يتضمن أسس ومبادئ التربية البيئية وكذلك اعتمدت الدراسات السابقة في معظمها على أفكار الآخرين نحو توجيه مبادئ التربية البيئية دون وعى وإدراك بالفكر والعقيدة التي يقوم على فكر المسلم المعاصر، كما أثبتت هذه الدراسات أنه مازال هناك خلل في جوانب التربية البيئية وفي حاجة إلى ربطها بمعتقدات الفرد الدينية .

ومن خلال ذلك يتبين أنه لابد من وجود فلسفة تربوية جديدة للتربية البيئية المعاصرة وتحديد إطار تربوي عام لها يراعى فيه – بصفة أساسية – البعد الديني ، لما له من

---

(١) البخاري(محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ، ت٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، تحقيق : مصطفي ديب البغا ،ج٢،(بيروت : دار ابن كثير ، ١٩٨٧م) ،ص٨٨٢.

(•) فضلا انظر الدراسات السابقة.

دور عظيم في بث القيم الإيجابية وإحياء الوازع الديني في النفس البشرية وتوجيه السلوك الإنساني وجهته السوية تجاه البيئة الطبيعية وعناصرها .

وتتحدد مشكلة الدراسة الحالية في محاولة الوقوف على جوانب التربية البيئية المختلفة وأبعادها من خلال السنة النبوية والاستفادة منها في وضع تصور عام لأسس التربية البيئية في السنة النبوية وكذلك وسائل السنة النبوية التربوية نحو توجيه الأفراد إلى مبادئ التربية البيئية في الوقت المعاصر.